خطاب صاحب الجلالة

بمناسبة الذكرى الخامسة عشرة لثورة الملك والشعب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز :

كثيراً ما تنتقل الشعوب والأمم الطامحة الحية، من طور إلى طور، وتتحول من حال إلى حال، ومن لون مألوف من الحياة، إلى لون آخر غير معهود ولا معتاد، وهي في انتقالها هذا، وتحولها كثيراً ما تضطرب بين ظروف متفاوتة متباينة، تختلف شدة ورخاء، وقسوة ولينا، فتخيم الجهامة والقتامة عليها حقباً وأزمانا، ثم تنقشع السحب، وتتقلص الأشباح المرعبة، فيخلف التفاؤل حينئذ والاستبشار، اليأس المطبق والتشاؤم المظلم، ويحل محل لواعج القلق والخوف والاشفاق، برد الدعة والطمأنينة، وثلج الرضى والارتياح، وما من أمة تعشقت الحياة الكريمة وصبت إلى المجد الأثيل، إلا تعاورتها الحوادث ضاحكة لها تارة، ومقطبة عابسة تارة أخرى، وتداولها مد مرده إلى طبيعة الطموح والعمل الناجح من أجل التسامي والشفوف والاقبال، وجزر منشأه التواكل والتخاذل، والتواني والتهاون، والقناعة بالضريع الذي لا يسمن ولا يغني من جوع.

بيد أن هذه الحوادث والظروف والأعراض، وإن كانت معالم تتميز بها أحوال الأمم والشعوب، وتستبان بها مراحل نشوئها وارتقائها، فليست كلها متساوية متكافئة، من حيث الدلالة والوزن والتأثير، فقد ينفرد أحدها بالغلبة والرجحان، ويبرز في فصل من فصول تاريخ الأمم والدول، الحادث الراسم للانعراج والانعطاف، والعرض الفاصل بين عهدين من عهودها، والظرف العامل على ارتفاعها أو انخفاضها، ونباهتها أو خمولها.

ولم يشذ شعبي العزيز، تاريخ بلادنا، التي عرفت منذ أقدم العصور، بالحيوية الدائبة والتطلع المستمر، إلى أعلى الدرجات، وأسمى المقامات عن قاعدة التقلب بين أحوال اليسر والعسر، والسراء والضراء، فقد كتب عليها الامتحان العسير، وذاقت مرارة الشر المستطير، كما كتب لها الفوز المبين، والنصر العزيز والهناء المكين، بعد مقارعة الخطوب، ومغالبة الشدائد والكروب، وإن آخر ما أصابك أيها الشعب الكريم، من سوء ومكروه، ونالك من شر وبأساء، ومنيت به من امتحان وبلاء، ولقيت من قسوة وعناء، ما باشره المتآمرون على قائدك ورائدك، ورمز سيادتك وعاهلك، الذائد عن كرامتك وكيانك، من اعتداء شنيع، أرادوا به تفكيك تلك العروة التي أوثقها التجاوب بينك وبين ملكك، وتقويض تلك القوة المتينة، التي أنشأها ورعاها ما بينك وبين عاهلك، من تبادل الحب والوفاء، وما أثر عنكما من تكافل الرغائب والمطامح، واجتماع الكلمة وتآزر الارادات، واتحاد الأهداف والغايات.

ولقد توهم المتآمرون بإقدامهم على ما أقدموا عليه، واقترافهم ما اقترفوه، أن الجو سيخلو لهم، وأن التصرف المطلق في أرضك ووطنك، سنتاح لهم نعمة سابغة سائغة، وأن حكمهم لن يرد، ومشيئتهم لن تقابل بغير الرضى والانصياع.

ولكنك انتفضت كما انتفض حامي حماك، وضحيت اقتداء بتضحيته، وأبيت الضيم احتذاء لإبائه، وأنفت من الاستكانة والهوان، واستنكرت الباطل والتعسف والطغيان، وامتعضت من الظلم والبهتان، أنفه واستنكاره وامتعاضه، فكان من هذا التضافر بين المشاعر والارادات، ثورة الملك والشعب، التي نبهت الغافلين، الذين توهموا

ما توهموا، وشيدوا من صروح الخيال ما شيدوا، وأيقظت النائمين، ووضعت حداً لحلم الحالمين، ووهم الواهمين، وأقامت الدليل الساطع على أن كرامة شعب بأسره، جبل على الحفاظ والشهامة، لا يمكن أن تداس، ولا يمكن أن تمتهن دون أن يجأر هذا الشعب بحقه، ويثأر لنفسه، ويتخذ من الوسائل ما هو كفيل بصد العدوان، وقطع دابر الطغيان، وحسم مادة الامتهان، ومن الأسباب ما هو خليق بازهاق الباطل، والضرب على يد التزييف والبهتان، كلفه هذا الأمر ما كلفه من صبر، وجشمه ما جشمه من مسلك وعر، وفرض عليه ما فرض من بلاء وامتحان، وعذاب وعقاب، واسترخاص لكل غال ونفيس، وتضحية بكل عزيز وكريم.

ولم تلبث المعركة التي خضتها بعقيدة لا تهن، وعزم لا يفل، وإخلاص لأسمى المبادىء والقيم، وحمية حامية، وبأس شديد، لعلمك بمغزى تدبير المتآمرين على رمز سيادتك، وعرش بلادك — لم تلبث هذه المعركة أن آتت طيب ثمارها، ويانع قطافها، وغض جناها.

فآب ملكك من منفاه السحيق، وقد أذهب الله عنه الحزن، يحمل لك البشرى، ويزف إليك أجمل الأنباء، ويلقي إليك أن الكفاح المشترك بينكما، والمقاومة التي تقاسمتماها، والثورة التي أعلنتماها، على العسف والافتيات، في ظروف مدلهمات وأيام قاتمات كالحات، كل هذا، لم يقتصر على أن أرجع الأمور إلى نصابها، والمياه إلى مجاريها، وإنما نقل البلاد من عهد إلى عهد، وفصل بين مرحلتين من مراحل حياتها، وأفضى إلى بلوغ الهدف الأكبر من أهدافها، والمطمح الأمثل من مطامحها، فكان في عودته من منفاه، مصحوباً بأسرته التي شاطرته مرارة الابعاد والتغريب، وفي البشرى التي زفها إلى شعبه المشتاق إلى طلعته الثواب الأجزل والجزاء الأفضل، والنعمة المشكورة، والمنة المذخورة، وكان حادث إبعاده وإيابه، واستبساله وتضحيته، وظفره بما أردت وأراد، وفوزه بما رجوت ورجا، منعطفاً ومنعرجاً في تاريخ هذه الأمة لم يتقدم لهما نظير، وتحولا في مسرى حياتها لم يسبق أن كان له ضريب ولا مثيل، وليس ببدع أن يميل ميلا بعيداً مثل هذا الحادث بتاريخ البلاد عن مجراه، ولا بمستغرب أن يحيد به إلى مسرى غير مسراه، فقد كان لهذا الحادث أسباب من الملك والشعب مهدت لمسبباته السبيل، وتوافرت في فترة من الزمن لخلق التبديل والتحويل ذلك أن الله قيض لك شعبي العزيز، في ظرف عسير عصيب، من ظروف حياتك، قائداً قادراً على مواجهة تلك الظروف، وبطلا من أولائك الأبطال، الذين لا يحجمون في مواطن الاقدام، ولا يترددون حيث يجب مضاء العزيمة ولا يستأثرون عند ما يتحتم الايثار، فأخذ على نفسه أن يعيد لشعبه ما سلب من حق، ويرد له ما جرد من مزايا، وحرم من نعم، ويفك عنه الاغلال، ويضع عنه الآصار ويحقق له الانعتاق، ويتيح له الانطلاق، فتصدت له المشاكل وتصدى لها، وعرضت له الصعاب فذللها، وقامت في طريقه العقبات فاقتحمها، وحيكت له المكايد، ونصبت من حوله الأشراك، فلم تفت في عضده المكاره، ولم تستسلم عزيمته للسوء، ولم تمل إرادته عن القصد، ولم تنصرف همته إلى غير ما كان يومن به أشد الايمان، ولم تعزب عن باله الغاية التي كانت قبلة جهوده ومترامى رغائبه ومطامحه، وعلمت شعبي العزيز، أن ما كان يعانيه من أهوال، في صمت وصبر، ويقاسيه من شدائد لم يكن يعرف منها إلا القليل، ليس لاحتماله من سبب إلا أنت وما يهمك من شؤون، فمحضت له الحب، وأخلصت له الولاء والوفاء، وسرتما نسقاً واحداً في محجة سواء، فلما عظمت اللأواء، واشتد البلاء، وتطاولت عليه وعلى عرشه يد البغي والعداء، وجد الملك ظهيراً من شعبه، وجد الشعب نصيراً من ملكه، وكان التحام إرادته وإرادتك، في تلك المعركة الميمونة التي أسفرت عن تبدل الأوضاع، وتلك الثورة المباركة التي باد وانقرض بفضلها عصر من عصور تاريخ هذه البلاد، وانبثق منها عهد جديد، قوامه الطلاقة والحرية والاستقلال.

فرحم الله والدنا جلالة الملك محمد الخامس، ورضي عنه وأرضاه، وجعل الجنة مثواه، فلقد كان أبياً سليل أبوة أباة، لا تلين لهم قناة، ولا يتهيبون الكريهة وإن تسعر لهيبها، والوقيعة وإن حمى وطيسها، دأبهم منازلة الظلم حتى يزول، ومناضلة الباطل حتى يحول، ومناصرة الحق الضائع حتى يؤول، صدوا المطامع عن هذه البلاد، وقاوموا السيطرة والاحتلال، وأقاموا المعاقل الواقية، والحصون الباقية، فنشروا الأمن والطمأنينة والسكينة، وخلفوا من المآثر والآثار، ما فيه بلاغ للبصائر والأبصار، وبهذه السيرة دانت لهم القلوب، وخلصت لهم الضمائر والسرائر، وامتدت الثقة بهم طوال العصور الخوالي والقرون الغوابر، وقوى التعلق بهم ونما، وتمكن الولاء لهم والوفاء، وبالعناية التي درجوا عليها، والرعاية التي شبوا وترعرعوا فيها، والاهتمام بالصغير والكبير من شؤون آبائك، والحدب الموصول بأسلافك وأجدادك، تفجر معين التعاطف ثراً غزيراً، وتوشجت أواصر المحبة المتينة، وتوثقت عرى تلك الصلة الثمينة، التي صنعت تاريخ بلادك، منذ انبثاق عهد الدولة العلوية إلى الآن.

فشيمة بعد النظر، والاحساس العميق بما يجيش في قلوب الرعية، والاهتداء لطريق ما يبعث الرضى، ويشيع المسرة الابتهاج، ويكشف الغمة إن ألمت، والضر إن عرض، ومزية الثقة والإخلاص والوفاء، خليقتان طبع عليهما ملوك هذه الدولة وشعوبهم، واستمرتا مقترنتين متكافلتين، تعزز إحداهما الأخرى، حتى إذا حل بالأمة أفدح الخطوب وأشنع المكاره والدواهي، ظهر اقترانهما كأروع ما يكون الظهور، وبأن ائتلافهما كأجلى ما يكون البيان، فاحتفالنا اليوم بالذكرى الخامسة عشرة لثورة الملك والشعب، احتفال بثمرات التناسق والتوافق الباقي على مر العصور والأجيال، وبذخيرة الشيم والمزايا المتأصلة المتلازمة مدى القرون الطوال، وهو بالاضافة إلى هذا، احتفال إجلال وإكبار، وتنويه بالتضحية والايثار، والبطولة والفداء والاستشهاد، وإذكاء جذوة التذكار، في نفوس الكبار والصغار، ممن عاشوا فصول هذه الملحمة، أو انتقلت إليهم أنباؤها، ثم إنه بعد هذا وذاك، احتفال لاستخلاص المواعظ والعبر، واستدعاء الحقائق الثابتة، التي ينطق بها تاريخنا القديم والحديث، واستحضار القواعد الراسخة، التي قام وما زال يقوم على أركانها كياننا كدولة تعتز بما يسر لها تضافر قواها، من سنى المكاسب والأرباح .

شعبي العزيز :

ها نحن أولاء ننعم منذ نيف واثنتى عشرة سنة، بالحرية التي كنا ننشدها، والاستقلال الذي كنا نطلبه ونخطبه، جادين في الطلب، ملحين في كسبه، إلحاح الحريص على استرجاع حق مسلوب، والضنين بالعلق المغصوب، ولكن مسرتنا بالفوز المامول، واغتباطنا ببلوغ الهدف المقصود، والأعراض عن الأهداف التي لم يكن استقلالنا المستعاد إلا وسيلة من وسائل السعي إلى إدراكها، بل طفقنا بعدما ألقى الله إلينا مقاليد أمورك، تامة غير منقوصة، وأناط بعهدة والدنا وعهدتنا رعاية مصالحك، رعاية مطلقة غير مشروطة، نشيد ونبني، ونرفع ونعلي، ونرسم معك الخطط والبرامج، ونشق السبل والطرق الكفيلة بدعم استقلالك، ورفع شأنك، وإعلاء كلمتك بين الأمم والشعوب، وأخذنا نتصرف في أمورنا، تصرف من يعلم أن الاستقلال يفرض أعباء، ويحتم مسؤوليات، ويوجب تضحيات، لا يكون الاستقلال استقلالا بالمعنى الصحيح، إلا إذا توافرت في السائس والمسوس كفايات الاضطلاع بها والنهوض والاحتمال، وإن من توفيق الله لنا، وتسديده لخطانا، أن هدانا إلى الصراط المستقيم، وأرشدنا إلى النهج السليم، فشرعنا في مد أسباب إسعادك، وتيسير الرخاء والهناء لك ولأبنائك وعقبك، مدفوعين إلى ذلك بدافع مالك في نفسنا من حب مكين، ومالنا من شعور بليغ، بما على الراعي الأمين، من واجب الحدب والعناية والاهتمام، بكل ما من شأنه أن يضمن للمواطنين الحاضر اللامع، والمستقبل الساطع، بيد أنه لن يكتب النجاح المرتجي للمشاريع التي سطرناها والخطط التي رسمناها وأعددناها، ولن نبلغ الغاية التي



توخيناها، تعميماً للرخاء، ونشراً للازدهار، ولن نكسب معركة الغنى والاثراء، إلا إذا عبأنا أنفسنا وعقولنا، وجندنا ما لنا من حول وطول، وطاقات وإمكانيات، متحدين متكاثفين متضافرين، وليس بعزيز على أمة حالفها النصر، عندما استمر مرير المقاومة والنضال من أجل الحرية والاستقلال، أن تكسب الجولة فيما تقتضيه وتستلزمه ممارسة السيادة، على أن النصر لم يحالف أمتنا إلا لأن نصفها لم يبق بمعزل عن الكفاح، فقد خاضت أمهاتنا وأخواتنا وبناتنا غماره بإيمان صادق، وعزم ثابت، لم تنل منه السيطرة والسطوة، ولم يثنه العنف والقسوة، فأسهمن في العراك بالنصيب الموفور، وأبدين من الشجاعة والشهامة والاقدام ما هو معروف ومأثور، وإن نساءنا اللائي اضطلعن بمثل هذا الدور الايجابي، وأدلين بالبرهان القاطع على ما لهن من وعي وإدراك، لجديرات بأن يبرزن في المجالات الحيوية، ويشاركن بحظهن في المجهود الرامي إلى رفع مستوى البلاد، وإنهن لخليقات بأن تبذل لهن الفرص، لاستعمال ما رزقن من مواهب، واكتسبن من خبرة ودراية وتجارب، فيما نتوخاه من إنجاز النمو الاقتصادي والاجتماعي، وثقة منا بوعي نسائنا، وحسن تبصرهن وتفكيرهن، فإننا بصدد تأليف جماعة منهن ندعوها إلى القيام في العمالات والأقاليم والمداشر والقرى، بحملة التعريف والتبيين والتوعية، حتى تكون مشاريعنا ومخططاتنا وأهدافنا ومنجزاتنا ووسائلنا، معلومة مستوعبة تحيط بها الأفكار والأذهان، وهكذا فسيكون على المرأة بالاضافة إلى ماهو معهود إليها عادة من شؤون البيت، ومهام البر والمساعدة والاسعاف، أن تشاطر الرجال في المجهود الرامي إلى تحقيق التنمية المنشودة، وإننا لموقنون بأن أملنا المعقود بهذه الجماعة لن يخيب ورجاءنا لن يضيع.

شعبي العزيـز :

لقد مرت بنا ذكريات كهذه الذكرى واحتفلنا بها جميعاً كل عام، والتأثر يأخذ من نفوسنا كل مأخذ، والخشوع يغمر جوانحنا، لا تخبو له جذوة، ولا يتضاءل ما تثيره هذه الذكرى من عواطف ومشاعر، وها نحن وقد خلت سنون، تهتز في نفوسنا وتضطرب بين حنايانا، تلك المشاعر والعواطف، في هذا اليوم المشهود، والظرف المعهود، متجهين بأفكارنا وقلوبنا إلى منقذ الأمة وسيد الأبطال، وعلم الكفاح والنضال، الصادق الأمين، ناصر الملة وحامي العرين، والدنا جلالة محمد الخامس أغدق الله عليه شآبيب الرحمة والغفران وبوأه منازل الرضى والرضوان، وأجزل له الأجر والمثوبة، على ما صابر وكافح، وكابد ونافح، ونتوجه إلى الله أن يشمل بواسع عفوه ورحمته، شهداءنا الأبرار، الذين استرخصوا دماءهم في سبيل الله والملك والوطن واشتروا الجنة التي وعد الله بها الصابرين المحتسبين.

اللهم إنا نسألك ثباتاً لا ينفد، ويقيناً لا يغيض، وتوفيقاً غير مقطوع، وسداداً غير ممنوع، وهداية لا ينضب لها معين، إلى طريق الحق وصراطك المستقيم.

اللهم انصرني بعونك، وأيدني من عندك، واكتب السعادة والهناء لشعبي، وهبهما بعزتك على يدي، واجعل شكري لك وحمدي، واعتمادي عليك وثنائي، سبباً أستزيد به نعمتك المتوالية، ومنتك المتواصلة، إنك اللهم من كل سائل قريب، ولكل داع سميع مجيب.

ألقي بالرباط

الثلاثاء 25 جمادي الأولى 1388 — 20 غشت 1968